

قواعد العقائد

معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان $\square$ سبحانه بيان وقد قال تعالى : { ألم نجعل الأرض مهادا والجبـال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا } وقال تعالى : { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلـك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل $\square$ من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون } . وقال تعالى : { ألم تروا كيف خلق $\square$ سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا و $\square$ أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا } . وقال تعالى : { أفأريتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون } إلى قوله { للمقوين } فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق $\square$ في الأرض والسماوات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن مانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبيره . ولذلك قال $\square$ تعالى : { أفـي $\square$ شك فاطر السماوات والأرض } ولهذا بعث الأنبياء صلوات $\square$ عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا " لا إله إلا $\square$ " وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللـعالم إله . فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم . ولذلك قال D { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن $\square$ } وقال تعالى : { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة $\square$ التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق $\square$ ذلك الدين القيم } فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان . ولكننا على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظائر نقول : من بداءة العقول أن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فإذا لا يستغني في حدوثه عن سبب . أما قولنا " إن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب " فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديمه وتأخيرـه فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا " العالم حادث " فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث . ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى الأولى : قولنا " إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون " وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار فإن من عقل جسما لا ساكنا ولا

متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا .

الثانية : قولنا " إنهما حادثان " ويدل على ذلك تعاقيهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام وما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطراءه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه - على ما سيأتي بيانه وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس .

الثالثة : قولنا " ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث " وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة إلى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترًا أو شفعا ووترًا جميعًا أو لا شفعا ولا وترًا ومحال أن يكون شفعا ووترًا جميعًا أو لا شفعا ولا وترًا . فإن ذلك جمع بين النفي والإثبات إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر . ومحال أن يكون شفعا لأن الشفع يصير وترًا بزيادة واحد . وكيف يعوز ما لا نهاية له : واحد ؟ ومحال أن يكون وترًا إذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لأعدادها . ومحال أن يكون لا شفعا ولا وترًا إذ له نهاية . فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث . وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة